لماذا تبدّلت السياسة الأميركية تجاه الصين؟

ليلى نقولا
استاذة العلاقات الدولية

في زيارات تهدئة تعكس تبدلاً جوهرياً في طريقة تعامل الولايات المتحدة الأميركية مع الصين، وصل وزير الخارجية الأميركي الأسبق جون كيري، الذي يشغل حالياً منصب المبعوث الخاص حول المناخ، إلى بكين لإجراء محادثات ثنائية، وذلك بعد زيارات سابقة لوزير الخارجية الحالي أنتوني بلينكن ووزيرة الخزانة الأميركية جانيت يالين.

بالرغم من الكلام الإيجابي الذي أطلقه الأميركيون خلال تلك الزيارات، فلا يمكن أن نتصور أنّ الأميركيين تخلوا عن استراتيجية "احتواء الصين"، إذ إنّ القلق الأميركي من الصعود الصيني راسخ وحقيقي وممتد منذ دخول الصين إلى منظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠١، ولا يمكن أن نتصور أنه تلاشى في الوقت الراهن.

استراتيجية احتواء الصين منذ عهد بوش إلى بايدن

قبل فترة الرئيس باراك أوباما الذي أعلن استراتيجية "التوجه نحو آسيا"، ينظر الأميركيون إلى الصين باعتبارها تشكل تهديداً محتملاً للولايات المتحدة الأميركية وقد ظهر هذا في استراتيجيات الأمن القومي الأميركية المتعددة.

- جورج بوش الابن

ذكرت وثائق بريطانية رُفعت عنها السرية أنّ الرئيس جورج بوش أعرب عن قلقه من تقدم الصين في فبراير/شباط ٢٠٠١، خلال زيارة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير إلى واشنطن. وقال بوش (بحسب الوثائق): "ستكون الصين قوة عالمية رئيسية خلال ٥٠ عاماً، وستغدو صاحبة أحد أكبر اقتصادات العالم، لكن نوع هذه القوة لم يتضح بعد"، وتذكر الوثائق أنّ بوش وبلير اتفقا على ضرورة "التفكير بحرص في كيفية احتواء القوة الصينية".

- باراك أوباما

تزامن إطلاق أوباما استراتيجيته الجديدة للتوجه إلى المحيط الهادئ مع إعلان "مبادرة الطريق والحزام" الصينية. ويمكن اختصار استراتيجية أوباما المعلنة تجاه الصين بأنها كانت مزيجاً من الاحتواء والتعاون أو ما سمّاه بعض الباحثين الأميركيين "congagement".

- دونالد ترامب

في استراتيجية الأمن القومي التي أصدرتها إدارة ترامب عام ٢٠١٧، تغيّرت اللغة المستخدمة سابقاً (الهادئة نوعاً ما) تجاه روسيا والصين، واعتُبرت الأخيرتان "تهديداً استراتيجياً للولايات المتحدة الأميركية يجب مواجهته".

- جو بايدن

برز العداء الأميركي لكلٍّ من روسيا والصين في استراتيجية إدارة بايدن للأمن القومي التي صدرت في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٢، فاعتبرت الوثيقة أنّ الصين وروسيا نظامان استبداديان يرفضان القيم الديمقراطية، ويشكلان تحدياً للسلام والاستقرار الدوليين.

تصف الاستراتيجية الصين بأنها "المنافس الوحيد الذي ينوي إعادة تشكيل النظام الدولي، وأنها تواصل زيادة قوتها الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية والتكنولوجية لتحقيق هذا الهدف، لتخرج بذلك عن المنافسة التقليدية التي تنادي بها الولايات المتحدة في سوق المصالح الاقتصادية المختلفة". وجاء في الاستراتيجية: "على الرغم من أن المنافسة مع الصين ستكون أكثر وضوحاً في منطقة المحيطين الهندي والهادي، فهي أيضاً عالمية، إذ يدور السباق حول كتابة القواعد العالمية وتشكيل النظام الدولي".

التصعيد الأميركي ضد الصين

تطبيقاً لاستراتيجية الاحتواء التي بدأها ترامب واستمر بها جو بايدن، ازداد التصعيد الأميركي ضد الصين تجارياً واقتصادياً وعسكرياً. استمرّت إدارة بايدن في تطبيق التعريفات الجمركية على بعض البضائع الصينية التي بدأها دونالد ترامب، وفرض بايدن قيوداً على تصدير الرقائق الإلكترونية ومعدات تصنيعها والبرامج التي تحتوي على التكنولوجيا الأميركية إلى الصين.

وتبنّت إدارة بايدن قانون خفض التضخم الذي يقدم مساعدات للشركات التي تقوم بالاستثمار في الولايات المتحدة، ولكن استُثنيت منه الشركات الصينية، ومُنعت الشركات التي تحصل على تلك المساعدات من الاستثمار في الصين.

أما في الإطار العسكري، فقامت الولايات المتحدة بتطويق الصين بالتحالفات والقواعد العسكرية، إذ قامت بتشكيل حلف أوكوس، وزودت أستراليا بالغواصات النووية، ونشرت جيشها في المحيط الهادئ، كما نشرت قواعد عسكرية في كل من اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين وغيرها.

هل تغيّرت استراتيجية بايدن تجاه الصين؟

المؤكد أن أهداف الاستراتيجية الأميركية باحتواء الصين ما زالت على حالها، لكن الوسائل التصعيدية التي مارسها الديمقراطيون في أميركا بدأت تتبدل، وحلّ الحوار مكان التصعيد الحربي والاقتصادي، فما السبب؟

فشل نظرية الدومينو الحربي

ربما اعتقد الأميركيون أنهم يستطيعون تكرار سيناريو "روسيا – أوكرانيا" في المحيط الهادئ "الصين – تايوان"، فكما قاموا بتطويق روسيا واستفزازها عسكرياً لدفعها إلى مغامرة غزو أوكرانيا، يستطيعون -بالطريقة نفسها- تطويق الصين عسكرياً وحشرها لجرّها إلى غزو تايوان.

يدل على هذا التصور ما أعلنه وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن خلال "منتدى ريغان للدفاع الوطني" الذي عقد في ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٢٢، إذ قال علناً إن "الولايات المتحدة تبني القوة الأكثر فتكاً في المحيطين الهندي والهادي، وإنها لن تسمح للصين بالهيمنة على تلك المنطقة".

وبالفعل، قام الأميركيون بتطويق الصين بالقواعد العسكرية، كما فعل الناتو تماماً حول روسيا، إضافة إلى التصعيد الكلامي المستمر لجو بايدن وزيارة رئيسة مجلس النواب الأميركي نانسي بيلوسي إلى تايوان.

اعتماد المقاربة العقلانية (ربح – أكلاف)

التصور الآخر لمسار اعتماد التهدئة الحربية ضد الصين التي بدأها جو بايدن هو أن من الصعب في الوقت الراهن على الاقتصاد الأميركي بشكل خاص، والاقتصاد العالمي بشكل عام، تحمّل كلفة حرب كبرى مع الصين، وخصوصاً في ظل الركود والتضخم الذي يعانيه العالم بسبب حرب أوكرانيا، إضافة إلى أن ترابط الاقتصادين الأميركي والصيني يجعل من الصعب فكّه من دون زعزعة الاقتصاد العالمي والتسبب بكوارث اقتصادية، ناهيك بأن فرض عقوبات على الصين قد يؤدي إلى انهيار الشركات الأميركية نفسها.

على الرغم من الكلام الإيجابي الذي أطلقه المسؤولون الأميركيون خلال زياراتهم الأخيرة لبكين، فلا يمكن أن نتصور أن الأميركيين تخلوا عن استراتيجية «احتواء الصين»

أثر حربَي تموز والعصف المأكول في الجيش الإسرائيلي

أيمن الرفاتي
كاتب ومحلل سياسي

لا شك في أنّ حرب تموز ومعركة العصف المأكول كانتا، بالنسبة إلى المقاومتين اللبنانية والفلسطينية، بداية لنقلة نوعية في القدرات والأداء والأدوات، إذ إنّ قدرتيهما على مواجهة جيش الاحتلال ومنعه من تحقيق النصر، وانتزاع صور متعدّدة للنصر عليه، كان لهما عميق الأثر في جمهور المقاومة، الذي بات أكثر تشجعاً على قتال كيان الاحتلال، بينما جمهور الاحتلال، الذي يقابله، بات أكثر شكاً وتخوّفاً بشأن مستقبل "دولته" وأقل دافعية إلى القتال.

التطورات الكبيرة، التي حصلت عليها المقاومتان اللبنانية والفلسطينية بعد هاتين الحربين، باتت تمثل هاجساً ورادعاً لجيش الاحتلال، الذي أصبح يدرك أن الحرب لم تعد أمراً سهلاً، وأنّ تبعاتها باتت أكبر من الإنجازات التي يمكن تحقيقها. ونجحت هاتان الحربان في إفقاد جيش الاحتلال روح المبادرة المباغتة، التي كانت سمته الدائمة في الاعتداءات وشنّ الحروب. أمّا على مستوى الدافعية إلى القتال، فأدّت حربا تموز والعصف المأكول، على نحو تراكمي، إلى تغيير في طبيعة الجندي الإسرائيلي، الذي بات يخشى المواجهة ويتهرّب منها، لأنّه بات يدرك أنّ المقاوم الذي يواجهه متمرّس ومدرَّب، ولا يخشى القتال أو الموت، وأنّ المخاطر أصبحت عالية جداً، وأنّ فرص قتله أو إصابته أو أسره باتت خياراً مُرَجَّحاً، وقابلاً للتنفيذ.

وعكست المؤشرات الأخيرة، التي كشفها باحثون في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، تراجعاً كبيراً في الدافعية إلى التجنيد في جيش الاحتلال، إذ بلغت أقل من ٥٠٪ خلال العام الحالي، وهو انخفاض كبير مقارنة بما سجّلته في عام ١٩٩٠ حين وصلت إلى أكثر من ٧٤٪، وفي عام ٢٠٢٠ حين بلغت قرابة ٦٤٪. وأرجع المعهد هذا التراجع إلى زيادة نسبة المتدينين الذين يرفضون التجنيد في جيش الاحتلال، بالإضافة إلى تهرّب أعداد كبيرة من عملية التجنيد عبر اختلاق أعذار متعددة.

من ناحية ثانية، كان الجيش الإسرائيلي يعتقد، في حرب تموز، أنّه قادر، عبر استخدام سلاحَي البر والجوّ على حسم المعركة، لكنه، بعد ٣٣ يوماً من المواجهة، أدرك أن ماكان يفعله سابقاً بات شيئاً من التاريخ، وأنّ الكمائن والأسلحة المضادّة للدبابات وللقوات البرية باتت أكثر فتكاً وخطراً. وعليه، فإنّ الاستمرار في استخدام مثل هذه السلاح سيكون ذا تكلفة عالية جداً.

ولعلّ أبرز تأثير في جيش الاحتلال خلال هذه المواجهة كان إدراكه أنّ موازين القوى تغيّرت، وأنّ القوى، التي يُسمّيها الاحتلال بـ"اللادولانية"، باتت أكثر قوة وقدرة على القيام بدور وتكتيكات عسكرية تكسر تفوق جيشه، بل لديها من الأساليب القادرة على قلب الصورة داخلياً وخارجياً في وجه كِلا المستويين السياسي والعسكري في كيان الاحتلال.

أمّا في حرب العصف المأكول ضد قطاع غزة في عام ٢٠١٤، فتأكّد لدى جيش الاحتلال، بصورة كاملة، أنّ سلاح البر لم يعد فعّالاً، ومخاطر استخدامه عالية جدّاً. وأدّت عمليات الصد والدفاع، التي نفّذتها المقاومة لخطة العدو بالهجوم البري داخل القطاع خلال المعركة فيما يُسمّى عسكرياً "الهجوم الجبهي"، إلى تغيير في تفكير القيادة العسكرية بخصوص خطط استخدام الذراع البرية وقدرتها على الحسم، وإلى تغيير واقع المعركة كما كان في السابق، وبات الاعتماد على هذه الذراع بعد العملية مرتبطاً بعدد من العوامل الاضطرارية في الاستخدام العسكري.

لقد أدّت معركة العصف المأكول، في درجة أساسية، إلى إحداث تغييرات كبيرة في استراتيجية الجيش الإسرائيلي، فلم يعد سلاح البر سلاح حسم، وبات التفكير في تطوير جيش ذكي يقاتل عن بُعد من دون أن يكون هناك التحام بين قوات الجيش والمقاومين.

في المحصلة، فإنّ حربَي تموز والعصف المأكول حملتا تغييرات استراتيجية لدى المقاومة في مواجهة العدو، فلم يعد في إمكان جيش الاحتلال حسم معركة، حتى إن استمرت ٣٣ يوماً، كما حدث مع لبنان، أو ٥١ يوماً، كما حدث مع غزة. وهذا الأمر غيّر تكتيكات الجيش، لكنهّا لم تُوجد حلّاً للمعضلة. والأخطر أنّ هاتين الحربين كانتا نقطة تحول في تطوّر قدرات المقاومتين اللبنانية والفلسطينية، اللتين باتتا تمثلان تهديداً وجودياً لكيان الاحتلال ضمن استراتيجية الجبهات المتعددة.

كان الجيش الإسرائيلي يعتقد، في حرب تموز، أنّه قادر، عبر استخدام سلاحَي البر والجوّ، على حسم المعركة، لكنه، بعد ٣٣ يوماً من المواجهة، أدرك أن ماكان يفعله سابقاً بات شيئاً من التاريخ

التحليل الإخباري

«إسرائيل» تخادع في جنين.. ضرب السلطة بالمقاومة!

خليل نصر الله
موقع العهد الاخباري

لطالما عملت الجهات الإسرائيلية على توسيع الشرخ الفلسطيني. كان هدفًا بارزًا تعمل عليه. عطلت المصالحة الفلسطينية أكثر من مرة. ونجح العدو في تكريس واقع انقسام، لا زال يلقي بظلاله على المشهد الفلسطيني تحديدًا في الضفة الغربية المحتلة، حيث حكم السلطة الفلسطينية ذات العلاقة السياسية والأمنية مع "تل أبيب".

خلال عقدين من الزمن، كان ما يعرف بالتنسيق الأمني، قائمًا. آذى المقاومة كثيرًا، ونجح في وأدها إلى حد بعيد، قبل أن تستعيد الأخيرة توازنها، متجاوزة "الفصائلية"، ومكرّسة هيكلية جديدة تمكنت خلالها من ضرب المخططات السابقة كافة. في "إسرائيل"، يتحدثون عن تراجع دور السلطة الفلسطينية، خصوصًا في شمال الضفة، ورغم تلقيها ضربات إسرائيلية طيلة الأعوام الماضية، إلا أن مركز القرار في الكيان يرى ضرورة "أمنية" لمنع انهيار السلطة الفلسطينية، وهو ما يأخذ مساحة من النقاش، حتى داخل حكومة نتنياهو التي تضم أكثر الشخصيات تطرفًا في الكيان، خصوصًا تلك التي تعمل على توسيع الاستيطان، بل وتهويد الضفة المحتلة. ومع تصاعد عمل المقاومة، عادت اللعبة القديمة عبر جرعة حافزية للسطلة الفلسطينية، لم تتضح معالمها بعد نتيجة الانقسام حولها في "تل أبيب"، لكن مؤشرات بدت من خلال بعض الخطوات تبين عن منهجية إسرائيلية خبيثة. فأقرت الحكومة المصغرة يوم الأحد ٩-٧-٢٠٢٣، مقترحًا قدمه نتنياهو لمنع انهيار السلطة، مقابل وقف الأخيرة أنشطتها الدولية ضد "إسرائيل".

ولاحقًا، تحدثت وسائل إعلام عبرية عن أمر وجهه المستوى السياسي للجيش والشاباك وحرس الحدود يقضي بتجميد ما سمي "النشاط الأمني الاستباقي في منطقة جنين"، وذكرت أن ذلك تم بالاتفاق مع سلطة محمود عباس، الذي زار جنين مؤخرًا، متعهدًا بإعادة ترميم ما هدمه العدوان. زيارة رأت فيها أوساط فلسطينية محاولة تعويم ذاتية تقوم بها السلطة، وأن الاندفاعة إلى جنين مترافقة مع تعزيز وجود الأجهزة الأمنية الفلسطينية، لم تشاهد إبان العدوان الاسرائيلي الأخير، تحمل علامات استفهام، خصوصًا أن فصائل المقاومة شكت علانية من مضايقة يتعرض لها مقاومون وتم توقيف بعضهم في ذروة عملية بأس جنين التي انتهت بفشل إسرائيلي.

يبدو جليًا أن الخطوات الإسرائيلية تهدف إلى اشعال الساحة الفلسطينية. "تل أبيب" تريد صدامًا فلسطينيًا - فلسطينيًا، تقطف هي ثماره أمنيًا، عبر وضع السلطة في مواجهة المقاومة، وبالتالي تحقيق ما عجزت عنه في العملية العسكرية المعادية الأخيرة في جنين. ولا شك أن الخطوة خطيرة، خصوصًا إذا ما أقدمت أجهزة السلطة على مضايقات قد تصل إلى استفزاز يمكن أن يستدعي ردات فعل وصدامات، تتفاداها المقاومة حتى الآن.

ومع الخطة الإسرائيلية واضحة المعالم، لا يجب استبعاد منطق أو أسلوب "الخديعة" الذي يعتمده نتنياهو وبجاهر به، تمامًا كما حصل في معركتي وحدة الساحات وثأر الأحرار، حين قام المستويان السياسي والأمني بخديعة ونفذوا عمليات اغتيال.